

آثار الفوارق التنموية في الثقافة

الكاتب



عبد اللطيف الزبيدي

هل فكر المثقفون العرب، على بساط البحث العلمي، في الآثار السلبية التي ستحدثها الفوارق التنموية في بلاد العرب، في الثقافة العربية بمكوناتها ومقوماتها؟

التربية الفكرية الثقافية، خصوصاً في التاريخ الحديث، الذي يفترض فيه نشوء الوعي وارتقاؤه، لم يتدرّب العقل الثقافي العربي فيها على إقامة أواصر عضوية بين الثقافة والتنمية الشاملة، وتحديد الاقتصاد والجغرافيا السياسية

أغلب الظن أن مثقفين كثرًا في العالم العربي، لا يرون لهذه المواضيع صلةً بالثقافة. مثلاً: ليس من شؤون الثقافة عندهم البحث في قضايا من قبيل إخراج العراق، سوريا، ليبيا، السودان، والبقية تأتي... من مسرح المصير العربي. لا علاقة عندهم لهجرة العقول وإفراغ الجغرافيا البشرية العربية من علمائها، بالثقافة. الأمر مختلف، وربما كان يضطّهرهم إلى التفكير، لو كان المستهدفون هم المطربين. كم هم مخطئون عندئذ، فلو أفرغت المخططات الديار العربية من منتحلي الغناء، لأقمنا دبكة بالعصي، وطيرنا الطرابيش في الهواء

طرح هذه المواضيع من المواضيع ضروري، وإلا فإن الثقافة تصبح لا علاقة لها بالحياة العامة، لا بالمجتمعات ولا بأوضاع البلدان. حينئذ يقول المتناقد: ما الذي يلزم شكسبير اتخاذ موقف من فجائع السودان؟ كل ما هنالك أن كلا طرفي النزاع يرفع شعار: «أكون أو لا أكون، هذه هي المسألة». كيف لا يتساءل المثقفون العرب: هل الثقافة العربية برمجيّة، «سوفتوير»، تأخذ عنها ألف نسخة، فلا ينقص منها مثقال إلكترون؟ هل العالم العربي وثقافته يظلّان كما هما، إذا طرحنا البلدان التي حكم عليها بالفشل والانهيال التنموي والإقصاء الحضاري؟

لا يُعقل أن يتوهم مثقف عربي أنه لكون معلقة الأعشى، النواصيّات، «البيان والتبيين» للجاحظ، «المواقف والمخاطبات» للنفري، لم يتغيّر منها شيء على مرّ القرون، فإن الثقافة العربية لا يمكن أن تُمسّ بسوء إذا زلزلت

الأرض زلزالها تحت بنیان الجغرافیا السیاسیة العربیة. هل تبلغ الهلوسات الفکریة حدّ تصوّر اللغة العربیة وموازن وجودها، معلقةً فی الهواء، لا تربطها روابط عضویة بأنظمة التربیة والتعلیم، بمنسوب حركة التألیف والترجمة والنشر، بالحضور الإعلامی؟ وماذا عن الروافد والمناهل فی تدفق إبداع الفنون؟

حین تلتهم البلدان نیرانُ الفتن والحروب الأهلیة التدمیریة، هل تظل الثقافة هی هی، والمتقفون العرب هم هم؟ لزوم ما یلزم: نتیجة الانتعاشیة: إذا ظن المثقفون أن الصروح الثقافیة ستشمخ بسحر ساحر فی عقیدین أو ثلاثة، فإن إعادة إعمار المعنویّ أعسر.

abuzzabaed@gmail.com

"حقوق النشر محفوظة" لصحیفة الخلیج. © 2024